الفصل الثالث

سنة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة

نظرة على قصة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قال تعالى فى سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء].

فضل الله تعالى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالرشد، وهو نضوج العقل والتفكير، وبعثه رسولًا، واتخذه خليلًا، وجعل فى ذريته النبوة، فكان يحاور قومه بشتى الطرق لإقناعهم بالإيمان بالله الواحد وترك ما سواه، وحاول معهم ليستخدموا عقلهم وعلمهم للوصول إلى الإيمان بالله.

وقد كان لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مدرسة فى الدعوة إلى الله - عز وجل - والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكان للمسلمين قدوة فى الدعوة لله لمن هم أكبر سنًّا - وخاصة الأب أو ولى الأمر - فقد دعا أباه لعبادة الله، ولما استعصى عليه، استغفر له الله، وأحسن له الرد والمعاملة، وقابل الجهل بالسلام، ولم يقبل أبو إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعوته، وهدده بالرجم، وطلب منه أن يمتنع عن هذه الدعوة، وأن يبتعد عنه ويهجره.

وآثر إبراهيم الخليل الابتعاد عن والده والكافرين، وأن يعكف على عبادة الله والدعاء له.

وكان لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مدرسة فى تعليم النفس الإيمان بالله، وتقويمها من الشرك والآثام، حتى ولو نشأ الفرد فى بيئة فاسدة غير مؤمنة، وهى التعليم الذاتى، وإعمال العقل والفكر، والبحث عن الحقيقة، مع إخلاص النية لله - سبحانه وتعالى - فلا يكون المسلم إمعة؛ إذا أحسن القوم كان معهم، وإن أساءوا كان معهم، وإنما إذا أحسن القوم اتبعهم، وإن أساءوا ابتعد عنهم ونجا بنفسه من إثمهم وجهلهم، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام].

وآتاه الله تعالى الحجة والرأى الصائب، والتى ما زالت يحتاج إليها الدعاة لاستكمال الطريق؛ فهى مدرسة أخرى للحوار مع الغير، يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

وكثيرًا ما يجرى مثل هذا الحوار عبر الزمان - كشكل من أشكال السلطة والسلطان الطاغية - التى تمارس على العباد الصالحين، وذلك عندما يقول صاحب أمن الطاغية للداعى: ألا تخاف تعذيبى لك؟ فيرد عليه المؤمن: إنى أخاف عليك من عذاب الله لك، ولا أخاف من بطشك إلا أن يشاء الله.

كما كان لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حجة مع أصحاب الملك الذين يطغون فى الأرض، ويعتقدون أن بيدهم حياة الناس، فيقتلونهم وقتما شاءوا، ويعفون عنهم عندما يريدون. إلا أن إبراهيم الخليل ذكر لمثل هؤلاء آيات أخرى ربما يفهمها الطغاة الجاهلون، وهى عدم قدرتهم على ما فوقهم من المخلوقات .. إن كان بين يديهم أناس ضعفاء، قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة].

وهذه حجة على كل طاغية إلى يوم القيامة، وعندما هداه الله تعالى إلى الحق، لم يعتكف فى بيته لعبادته وترك قومه، ولم يكن له صديق أو أخ يؤازره، بل أب لا يرضى عنه وقوم لا يفقهون، ورغم ذلك لم ييأس من الحوار معهم؛ لحثهم على إعمال عقولهم، فآثروا اتباع الضالين الأولين، وآثر هو رب العالمين، الذى خلقه وهداه وأطعمه وسقاه. وتوعد قومه أن يكيد لأصنامهم، فجعلهم جُذاذًا إلا كبيرًا لهم؛ أملًا أن يرجعوا إليه، فيسألوه، ويحاورهم مرة أخرى، فيفهموا ويعوا، وتهون عليهم هذه التماثيل المصنوعة بأيديهم.

وفعلًا بعدما كانوا يسمعونه ثم يتركونه ويرجعون إليها، بدءوا فى إعطاء الإجابة بأنفسهم وبألسنتهم، فعندما قال لهم إبراهيم: ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، كان ردهم عليه: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء]؛ فهذا إعمال لعقولهم، وتنشيط لها،

ورجوع إلى النفس ومحاورتها؛ للوصول إلى الحق، بدلًا من العناد والجهل والإصرار عليه، ولكن كان عقابهم له بالحكم عليه بالحرق ونصرة الجهل، فجعلهم الله - عز وجل - القادر القدير هم الأخسرين، وجاء لهم بآية، فأمر النار أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم، وأمر الدواب أن تطفئ عنه النار. ففى حديث عن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: إن الرسول ﷺ حدثنا: **«أن إبراهيم حين ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا تطفئ عنه النار، غير الوزغ، كان ينفخ عليه، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله»** (١)، والوزغ سام أبرص.

وقد ذكر الرسول ﷺ كيف كذب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لإظهار دين الله، فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: قوله حين دعى إلى آلهتهم، فقال:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات]، **وقوله:** ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٣]، **وقوله لسارة: إنها أختى»**(٢) فقد كان لقوم إبراهيم أعياد يحتفلون بها عند تماثيلهم، فلم يقبل إبراهيم حضورها، ولم يصرح لهم الأسباب، ولكنه قال لهم: إنى سقيم؛ فقد كان ينوى عملًا آخر، وهو كسر أصنامهم؛ لتكون حجة لهم وعليهم، وليعترفوا بأنفسهم، وقد كان، أما قوله لسارة - زوجته - أنها أخته، فقد كان لملك من الملوك الجبابرة، وقصد إبراهيم من وراء ذلك إحصانها منه، وأمر زوجته ألا تكذب قوله؛ فإنه ما على الأرض مؤمن غيره وغيرها، فصلَّت لله ودعته بأن يحفظها من هذا الملك، وقد كان، وبدلًا من الإيذاء كان العطاء، فرجعت سارة بخادمة لها، وهى هاجر، والتى كانت زوجة لإبراهيم بعد ذلك، وأمًّا لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الآيات التى سننطلق منها لاتباع سنة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة :

قال تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء]؛ للطمع فى المغفرة وتعظيم الخطأ.

وقال تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة]؛ للاجتماع على التوبة والذكر، وللتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة لقبول التوبة.

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٥٩).

(٢) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٥٧).

منهج التوبة

الطمع فى المغفرة:

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء] .. طمع فى الشىء يعنى: اشتهاه، وحرص على أخذه، والطمع قد يكون للدنيا وما فيها من خيرات، وقد يكون للآخرة وما فيها من نعيم مقيم، وقد يكون لحسن ثواب الدنيا والآخرة معًا. وقد يكون الطمع فى دار العمل، وقد يكون فى دار البقاء.

ومن طمع للدنيا خاف عليها، وحرص عليها حرصًا شديدًا، يسوقه إلى الشقاء فى الدنيا والآخرة. فهو - دائمًا - يريد أن ينهل منها ولا يشبع، يقول ﷺ: **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»** [متفق عليه] (١).

والطمع فى الدنيا يؤدى إلى الأرق وعدم الاطمئنان؛ فهو - دائمًا - يبحث عن المزيد، ودائمًا يخاف على ما جمع من حطام الدنيا.

والطمع للدنيا يؤدى إلى الذل والتذلل للناس، وإلى الحسد والحقد والكراهية، وهى أمور لا يجب أن تجتمع فى قلب المؤمن، وهى من علامات مرض قلبه ونفسه.

والطمع للدنيا يخرج المؤمن من عبودية الله إلى عبودية الدنيا، فهو أسير فى حب الدنيا وحطامها، لا يرى الأمور إلا بمنظارها، ولا يزنها إلا بميزانها.

أما الطمع فى الآخرة والمغفرة يوم الدين ورضاء الله - سبحانه وتعالى - فهى ما طمع فيها سيدنا إبراهيم الخليل.

ويقرن الله تعالى انفعال الخوف بالطمع، ويأتى قبله فى الآيات، قال تعالى فى سورة الرعد: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد:١٢]، وفى سورة السجدة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦].

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٣٨، ٦٤٣٩)، ومسلم فى الزكاة (١٠٤٨/ ١١٦).

فالآية الأولى فى سورة الرعد توضح صنفين من الناس: الأول: يرى البرق فينتابه إحساس بالخوف، والثانى يراه فينتابه إحساس بالطمع.

وكثير من الخوف يأتى من جهل الإنسان بطبيعة الأشياء، وما يمكن أن يستفيد بها الإنسان فى حياته، وكيفية التعامل معها، والأضرار التى يمكن أن تنجم عنها، وكيفية تلاشيها. وقليل من الخوف ضرورى للمؤمنة؛ لكى تعيد تصحيح مسارها، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الظالمون، يقول الله تعالى فى سورة الحجر: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

فعليك أن توازنى نفسك بين الخوف من عقاب الله فى الدنيا والآخرة، وبين الطمع والرجاء فى رحمته. قال تعالى فى سورة السجدة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[السجدة:١٦]، يقول الله تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[الأعراف].

وإذا كان زيادة علم الإنسان بطبيعة الأشياء تؤدى إلى تقليل الخوف منها، وزيادة قدرته عليها – فإن زيادة العلم بالله – سبحانه وتعالى – يزيد من خشيته. يقول الله تعالى فى سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾[فاطر:٢٨]، ويقول الرسول ﷺ: **«والله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»** [رواه الشيخان من حديث عائشة]. ويأمرنا الله تبارك وتعالى بأن نخافه، يقول تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران].

ولكن ما الأفضل لكِ: أن تخافى الله أم ترجين رضاه وتطمعى فى عفوه؟وفى أى الأحوال يكون إحداهما أفضل من الآخر؟

يقول الإمام الغزالى فى إحيائه: «أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء؛ وذلك لأجل غلبة المعاصى. فأما التقى الذى ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه، فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه؛ ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، وروى أن عليًّا – كرم الله وجهه – قال لبعض ولده: «يا بنى خف الله خوفًا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك، ولذلك قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو نودى ليدخل النار كل الناس إلا رجلًا واحدًا لرجوت أن

أكون أنا ذلك الرجل، ولو نودى ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلًا واحدًا، لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل»(١).

ولذلك فعلينا يا أختاه الطمع فى مغفرة الله تعالى، مع الخوف منه، فلا خوف خالص ولا رجاء خالص؛ فكلاهما لا يصلح للمؤمن، ولا تستقيم به حياته.

هذا إذا كان الطمع للدنيا أو للآخرة، ولكن ماذا لو أراد المسلم أن يطمع فى الاثنين؟أو أن يكون له حسن ثواب الدنيا والآخرة؟ .. هكذا كانت دعوة سيدنا إبراهيم الخليل ومدرسته وسنته.

يقول الله تعالى فى سورة الشعراء: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِى يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

فهذا الطريق فى الدعاء الذى رسمه لنا أبو الأنبياء لنخطو خطاه، يشهد أن تدعو الله لخير ما فى الدنيا، وخير ما فى الآخرة النعيم المقيم.

وكان الرسول محمد ﷺ، يدعو الله تعالى لما فيه صلاحه فى الدنيا وصلاحه فى الآخرة. عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبى ﷺ، قال: **«اللّهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر»** [رواه مسلم](٢).

وكان أكثر دعاء الرسول ﷺ: **«اللّهم آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»** [متفق عليه].

وإذا كان الإنسان يطمع ويرجو الله فى حياته الدنيا فى دار العمل، فكيف يأتى فى دار الحساب ويطمع فى مغفرة الله أو فى جنته؟ وهل لهذا الطمع جدوى، ومن هؤلاء الطامعون فى الجنة؟ ومتى يطمعون فيها؟ ولكى نجيب عن هذه التساؤلات للطمع يوم الحساب، نقرأ

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٥٥.

(٢) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٢٠/ ٧١).

معا بعض آيات من سورة الأعراف، قال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾[الأعراف].

وفى الآيات الكريمات إخبار عن ثلاث فئات: فئة أصحاب الجنة يحاورون أصحاب النار، وفئة الأعراف الذين يقفون على الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة، وهم يلقون السلام على أهل الجنة، ويطمعون أن يدخلوها، ويخافون أن يكونوا من أصحاب النار، ثم يأمر الله تعالى أن يدخلوا الجنة، ويأتى الحوار بين أصحاب النار وأصحاب الجنة، فيطلبوا منهم أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله، ولكن أصحاب الجنة يقولون لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾[الأعراف].

وبعد هذا التصنيف للطمع، هل صنفتِ نفسك داخل نوع منها؟ وما هو ذلك النوع؟ هل هذا النوع هو الذى يرضيك؟ أم ستتخذين نوعًا آخر؟ ومتى ذلك؟ وكيف؟

إن إجاباتك عن هذه الأسئلة كفيلة بوضعك فى تصنيف من هم أصحاب الجنة، أو فيمن هم أصحاب النار، أو فيمن ينتظرون عفو ربهم ومغفرته يوم القيامة.

ستدركين كم وزن الدنيا عندك، وما مقدارها، وما هى قيمتها الحقيقية فى نظرك. ستدركين مقدار حبك لله ولرضاه، ومقدار خوفك من سخطه وعذابه، سيكون عندك منظار حقيقى، تستطيعين من خلاله رؤية الناس وتقديرهم للماديات فى الدنيا، وستجدين إجابات شافية لصدرك عما يحدث من اعتداءات، وقتل، واغتصاب، وخصام، وتفرقة، وكراهية، وبغضاء بين الناس.

لقد استطاع الإنسان أن يبتكر نظارة، تمكن مستخدمها من رؤية الأشياء فى الظلام، ألا يكون الأجدر للمؤمن أن يكون لديه أعظم من هذه النظارة الزجاجية؛ إنها قلب المؤمن الذى يستطيع أن يحس ويعقل ما لا يستطيع غيره ذلك.

تعظيم الخطأ:

فما تحسينه هينًا هو عند الله عظيم، قال تعالى فى سورة الشعراء: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ [الشعراء]، وعن أبى هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، قوله: حين دعى إلى آلهتهم: ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٞ ٨٩﴾ [الصافات]، وقوله: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣]، وقوله لسارة: إنها أختي»[(١)].

فهذه الآية وهذا الحديث يضع أمامنا خطوطًا عريضة تحت كلمة الخطأ، الذى يستوجب التعظيم.

فإلى أى حدٍّ نرى أخطاءنا وأخطاء الآخرين؟ وإلى أى حدٍّ نعترف بها؟ وإلى أى حدٍّ نشعر بالألم لارتكابها؟ وإلى أى حدٍّ نجتهد فى الامتناع عنها؟ وإلى أى حدٍّ ندعو الله أن يغفرها لنا؟وإلى أى حدٍّ نأمل مغفرة الله لذنوبنا؟

فالأمر يحتاج إلى درجة عالية من المراجعة والمحاسبة للنفس، ليس كل يوم، ولكن فى كل لحظة؛ فمن يدرى بلحظة الموت، وانتهاء العمل وبداية الحساب؟ يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠]، ويقول الله تعالى فى سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠]، والحرمة: هى كل ما يجب احترامه من حقوق الله وما منع من انتهاكه، وهى تتطلب من الأخت المؤمنة أن تعرف هذه الحقوق، وتؤمن بها، وتعظمها فى قلبها، وتجتهد فى احترامها وعدم الابتعاد عنها، وتذكير نفسها دائمًا بها، وكذلك تتعرف على ما نهى الله عنه؛ لتجتنبه وتتركه، بحيث لا تقع فيه، وإذا وقعت فيه فتسرع بالاستغفار، وتصحيح مسارها، وتجديد إيمانها بالله تعالى.

---

(١) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٥٩).

وهنا تظهر فضيلة المحاسبة لدى الأخت المؤمنة؛ فهى دائمًا تنظر فى أعمالها بعد الفراغ منها، ثم تزنها بميزان الطاعة لله والعبودية له، فترى ما إذا كانت خفت موازينها أم ثقلت، وذلك قبل أن توزن عليها، وربما ضاق الوقت عليك، وأخذتك مشاغل الحياة، إلى أن ينتهى اليوم وأنت مستلقية على السرير؛ لتنهى يومًا شاقًّا مليئًا بالمتعاب، وربما ينتهى بك اليوم دون أن تحسى بأنك قد قصرت فى أداء عمل، أو أحدثت ما يغضب الله، فتنامى مرتاحة البال وراضية عن نفسك، وربما يأتى المساء ولم تكملى أعمالك التى قررتيها، فتنامى وأنت تحملين كيف ومتى ستنجزينها؟

فهذه ظروف وأوضاع يمكن أن تقابلك، فهى كثيرًا ما يعيشها الناس، فالأمر شائع ولكنه شائك وخطير، فهذه الظروف هى التى صرفت كثيرًا من الناس عن محاسبة أنفسهم وتقويمها، فعاشوا فى تعب وشقاء وظلام وراءه ظلام، إلى أن يأتى بهم يوم الساعة فيحلفون أنهم لم يلبثوا غير ساعة.

ولكن ما الذى ستضعينه على الميزان؟ هل الصمت أم الكلام؟ هل الإقبال أم الإبار؟ هل الطاعة أم المعصية؟ هل نفسك أم عقلك أم جوارحك؟ هل أعمالك مع نفسك أم مع غيرك؟ وأين الوقت والعقل اللذان يوفران الإجابة؟

فربما الوقت لا يكفى والعقل لا يستطيع، والنفس لا تهوى المحاسبة، فما السبيل إذن؟

لقد كان الرسول ﷺ يستغفر الله فى اليوم مائة مرة[(١)]، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبى ﷺ، قال: «**يا معشر النساء تصدقن، وأكثرن من الاستغفار؛ فإنى رأيتكن أكثر أهل النار**»، قالت امرأة منهن: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشيرة (الزوج)**» [رواه مسلم] [(٢)].

فهذان سبيلان للاستغفار والصدقة، وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبى ﷺ، قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة (أول النهار)، وشىء من الدلجة (آخر النهار)**» [رواه البخارى] [(٣)].

---

(١) مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٢/ ٤١).
(٢) مسلم فى الإيمان (٧٩/ ١٣٢).
(٣) البخارى فى الإيمان (٣٩).

وليكن لنا فى الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ قدوة أيضًا، فقد كان عمر بن الخطاب يراجع نفسه فى كل كلمة ينطق بها، ويسمح لغيره أن يراجعه، ويصحح أخطاءه ولو كانت امرأة، وكان يعترف بذلك، فقد قال: أصابت امرأة وأخطأ عمر، وكان وقافًا عند كلام الله - عز وجل - وكانت السيدة عائشة كثيرًا ما تسأل الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لتصحح لنفسها ولغيرها من المسلمين والمسلمات؛ فلا يكفى أن تقيم المسلمة نفسها، ولكن عليها أن تستعين بمن هم أفضل منها فى تغييرها، ولا تجد بأسًا فى انتقادها ممن هم أقل منها سنًّا، أو مركزًا، أو علمًا.

فلنقل كما قال عمر: رحم الله امرأ أهدى إلىَّ عيوبى، فالعقل وحده لا يستطيع أن يحصى كل ما قامت به الجوارح، فالإنسان لا ينظر إلى نفسه، بل ينظر إليه الآخرون، وربما يفسر ذلك بعض أسباب انتقاد الناس لغيرهم قبل أنفسهم، ونفس المرء أمارة بالسوء، فرحم الله من قال: حاربوا أهواءكم كما تحاربون أعداءكم، فالنفس تميل إلى اتباع الهوى، وقد كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدعو الله: **«اللَّهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»**(١).

وهناك ميزان من موازين الرسول عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وهو ميزان الإثم، وهو ما حاك فى صدركِ، وكرهت أن يطلع عليه الناس، فإذا وجدت فى نفسك ذلك، فهذا معيار لمحاسبة النفس وتعديل اعوجاجها.

وهناك أيضًا الجار والصاحب، وهما من موازين الرسول عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، عن أبى هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، قال: **«الرجل على دين خليله (الصديق)، فلينظر أحدكم من يخالل»**(٢).

الاجتماع على التوبة والذكر:

قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

(١) الطبرانى فى الكبير (١١/ ١٠٦) (١١١٩١)، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٤١) وإسناده حسن.
(٢) أبو داود فى الأدب (٤٨٣٣)، والترمذى فى الزهد (٢٣٧٨)، وقال: «حسن غريب».

هكذا كان الاجتماع على العمل الصالح، والاجتماع على الدعاء، والاجتماع على التوبة، فهل لنا فى سيدنا إبراهيم الخليل أسوة حسنة، وهل لنا فيمن تبعه من الأنبياء الصالحين وخاتم النبين ﷺ نور وهداية؛ لنقتدى بهم، ونسير على سيرهم وهداهم؟

يقول الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:٢٨].

فالاجتماع مع الصالحين أمر من الله، والصبر على ذلك ضرورى لمن أراد وجه الله، فالأخت الصالحة لها أن تجتمع مع أخواتها فى المنزل أو مع أسرتها، ولها أن تجتمع مع زميلاتها فى المدرسة أو الجامعة، ولها أن تجتمع مع الأخوات الصالحات فى أماكن العمل، ولها أن تجتمع مع الأخوات العابدات فى المساجد، ولها أن تجتمع مع صديقاتها فى أماكن الترفيه عن النفس، فالمسلمة لابد لها أن تعيش مع نفسها وتعايش الآخرين؛ ليصححوا لها، وتصحح لهم، ويكونوا معًا عونا على الطاعة بإذن الله.

وربما يزداد حبك لذكر الله مع صديقاتك وأخواتك عندما تعلمين: **«أن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله – عز وجل – تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم – وهو أعلم: ما يقول عبادى؟ قال: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأونى؟ فيقولون: لا، والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأونى؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. فيقول: فماذا يسألون؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا، والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: يتعوذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها؟ فيقول: كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة. قال فيقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة؟ قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»** [متفق عليه] (١).

(١) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٨)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٨٩/ ٥).

هل تحاسبين نفسك الآن: من تجلسين معهم؟ وفيم تتحدثون؟ هل تذكرون الله وتستغفرونه؟ أم تذكرون الناس وتغتابونهم؟

كيف يكون حال الجلساء؟ هل هن مطمئنات هادئات؟ أم ترتفع أصواتهن ويكثر لغوهن؟ كيف يكون ختام الجلسة؟هل توبة واستغفار، أم وداع وشجار؟

شتان بين الجلستين، أسرعى واختارى ولا تحتارى؛ إنها جلسة تشهدها الملائكة، لا يشقى فيها أى جليس، بدايتها ذكر، ونهايتها مغفرة من الله العزيز الحكيم، وذكرٌ لكم عند ربكم، إنها رياض الجنة، فارتعى فيها؛ فإن جبريل أخبر الرسول ﷺ بأن الله تعالى يباهى بكم الملائكة.

أختاه ربما تجلسين بمفردك فى المنزل، ولا يتاح لك فرصة الاجتماع على التوبة والذكر، ولكن انظرى حولك، ستجدين من تجتمعين معهم، وأنت لست منهم فى الجلسة، إنها جلسات العلم فى محطات الإذاعة والتلفزيون، وفيها برامج تتيح لك أن تجلسى معهم، وأحيانًا تتيح لك الاتصال بهم مباشرة، فهذه الأشياء مما أنعم الله علينا بها فى هذا العصر، فحاولى معرفة مواعيد هذه الجلسات وانتظريها، وبلغى صديقاتك بها؛ حتى تجتمعوا معًا فى ذكر الله دون لقاء، ثم ربما يكون بينكن حوار وجلسات بعد ذلك.

وهناك شكل آخر من جلسات العلم، أنعم الله بها علينا، يمكن أن تتم عبر الحديث من خلال الإنترنت فى البرامج التى تتيح الحوار بين أكثر من اثنين؛ فليبدأ الحوار بالتسبيح، والتهليل، والتحميد، وذكر الله، ولينتهى بطلب الجنة، وكل عمل يقرب إليها، والاستعاذة بالله من النار، وكل عمل يقرب إليها، ولتسمح الأخوات لمن يريد الانضمام إليهن بالدخول، والمشاركة فى جلسات العلم؛ حتى تتسع الحلقة، ولتكن نية الاجتماع لله والافتراق عليه، والدعاء لله بأن يتقبل هذا العمل، وأن يكون خالصًا لوجه الله الكريم.

التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة لقبول التوبة [لماذا، وما هى، ومتى؟]:

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة]

تعلمنا الآيات التوجه إلى الله تعالى بالدعاء أثناء القيام بالأعمال الصالحة، وأن نرجو تقبل الله لأعمالنا، فنرجو تقبله لصلاتنا وصيامنا وزكاتنا وصدقاتنا ولسائر أعمالنا، وأن ندعو

لأنفسنا ولأهلنا ولمن جاء بعدنا، وأن يكون دعاؤنا - دائمًا - فيه التوبة والاستغفار، فلنكثر من دعواتنا لله أثناء القيام بالأعمال الصالحة، ربما تكون طلبًا لمنافع دنيوية، وربما ننسى تجديد التوبة إلى الله، بينما تكثر التوبة عند القيام بإثم أو معصية.

لذلك فعلينا أن نكثر من الأعمال الصالحة، بنية التوبة إلى الله، حتى ولو لم تسعفنا الذاكرة، ولم تعترف نفوسنا، ولم نواجه لومًا، أو خصومة من أحد، فلابد من الاعتراف بأن كل بنى آدم خطاء، فهذه الصفة كافية لدواعى التوبة والاستغفار، فما لا أعتبره خطأ اليوم، ربما أدركت مدى خطورته وخطأه غدًا، وما لم يعاتبنى الناس عليه اليوم، ربما يكون سببًا للخصومة غدا، وما أحسبه هينًا، ربما يكون عند الله عظيمًا.

والأعمال الصالحة قد تكون من خلال أعمال القلوب: بذكر الله، ودوام التفكر فيه وحب الله، وحب كل عمل يقرب إليه، وحب كل من يحبه، وأن يكون حبه أحب إلى القلب من الدنيا وما فيها، وأن يشع هذا الحب على جميع خلقه. ومن الأعمال الصالحة، جميع الأقوال من خير، ودعاء، وذكر، واستغفار، ومن الأعمال الصالحة، العبادات من صيام، وصلاة، وصدقة، وحج، وجميع ما أمرنا به الله ورسوله، مثل: بر الوالدين، والصدق، والجهاد فى سبيل الله، وعلينا جميعًا أن نسارع فى الخيرات، والأعمال الصالحة، والتى يقابلها سرعة فى المغفرة بإذن الله. يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران]، وقد علمنا الرسول ﷺ هذه السرعة كعلاج للذنب: **«أتبع السيئة الحسنة تمحها»**[(١)].

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال الصالحة؛ فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**[(٢)].

فهذا الحديث ربما يثير فيك سرعة القيام بالعمل الصالح، فلا تدرى نفس ماذا ستكون الدنيا غدًا، فكل يوم هو فى شأن.

فبعض الناس يعتقدون أن أعمالهم اليوم تكفى غدًا وبعد غدٍ، وربما اغتروا بهذه الأعمال، واعتبروها هى المنجية، وأنهم فى أمان ومأمن من مصائب الدنيا وتقلباتها، فيدفعهم هذا

---

(١) أحمد (٥/ ١٥٣).

(٢) مسلم فى الإيمان (١١٨/ ١٨٦).

الإحساس إلى التراجع، والاكتفاء بالقليل من العمل الصالح؛ فتكون العاقبة الوقوع فى الإثم، والانحراف عن الطريق المستقيم.

وقد فند الرسول ﷺ لنا سبعة أحوال؛ يجب أن تكون دافعًا لقيامنا بالمبادرة بالأعمال الصالحة، فى حديث عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مُفندًا، أو موتًا مُجهزًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»** [رواه الترمذى، وقال حديث حسن][(١)].

فالغنى لا يدوم، وربما يتحول الغنى اليوم إلى فقير غدًا، فلا يستطيع أن يعطى، أو يتصدق، أو يقوم بالأعمال الصالحة، وإذا دام الغنى فقد يطغى صاحبه، فينسى الفقراء ويظلمهم، ويظلم أصحاب الحاجة.

والصحة لا تدوم، فيأتى المرض ليفسد على الإنسان حياته، والشباب مرحلة ويأتى بعدها الهرم؛ فيقل التفكير، والتذكر، والفهم، وغيرها من عمليات العقل، والحياة قصيرة، والموت يأتى بدون إنذار. وهذه أحوال يعيشها كل إنسان، ولكن الرسول ﷺ ذكر حالتين من الغيب؛ وهما الدجال الشر الغائب المنتظر، والذى سيقع فى الإيمان به كثير من الناس، ثم يوم القيامة والتى لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى؛ إذن فهذا الحديث لا ينتفع به غير المتقين، الذين يؤمنون بالغيب.

***

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٣٠)، وقال: حسن غريب.